مؤتمر (تدبُّر) العالمي الثاني... والرؤية المستقبلية

١٩/ ١/ ١٤٣٧هـ

في رحاب الدار البيضاء في المملكة المغربية، وفي المدة من ١٥-١٦ من شهر الله المحرّم من عام ١٤٣٧هـ انعقدت فعالياتُ (المؤتمر الثاني العالمي لتدبر القرآن الكريم)، الذي نظّمته: (الهيئةُ العالميةُ لتدبُّر القرآن الكريم)، بالتعاون مع (كلية العلوم الإنسانية والآداب) في جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، والذي وصفه الحاضرون بأنه ناجح ومحقِّقٌ لأهدافه -بحمد الله- التي مِن أهمها: لفتُ نظر الناس إلى هذا المقصد العظيم من مقاصد التنزيل، وقد لمستُ هذا عن كَثَب من خلال الحضور الكثيف لجلسات المؤتمر، وورَشِ عمَله، والدورات والمحاضرات المصاحبة، وكثرةِ السؤال والطلب على إصدارات الهيئة، صاحبَ ذلك تفاعلٌ رائعٌ من وسائل الإعلام في المغرب وخارجها، التي قامت بتغطية هذا الحدَثِ العلمي البهيج.

وبعد هذا المؤتمرِ وأمثاله، يتساءل كثيرٌ من الناس: ما الجدوى مِن أمثال هذه المؤتمرات؟ وهل ستبقى ثمراتُ تلك البحوث الأكاديمية

مجرّد أوراقٍ تُطرَح في هذه المناسبات، ثم تبقى محفوظةً في المجلدات التي تضمّها؟ أو الحواسيب التي كتبتْها؟

أقول -بعد حضور عددٍ لا بأس به من هذه المؤتمرات العلمية-: إنني مع تسليمي بأن بحوث المؤتمرات في كثيرٍ من الأحيان تبقى بحوثًا تُناقِش جزئيةً معيّنةً، وربما تَكرر طرْقُ بعض المسائل مرات عدّة، وكثيرٌ منها لا يتجاوز أسوارَ المؤسسات الأكاديمية، إلا أن هذه المؤتمرات لا تخلو مِن بحوث قيّمة تَظهر ثمرتُها عمليًّا في الساحة، دون أن يشعر الناسُ أن السبب في هذا المشروع أو ذاك هو ذلكم البحث الذي طُرِح في هذا المؤتمر أو ذاك، وأنه هو الذي قدح شرارةَ الفكرة، وأذكى أُوارَها، فتلقّاها بعضُ الموفَّقين، فجعلها مشروعًا عمليًّا تنتفع به الأمّة، كما يقع في المؤتمرات الطبيّة -على سبيل المثال- التي قد يَتساءل غيرُ المختصين عن جدوى كثيرٍ منها! فتأتي النتيجةُ على الساحة بعلاجٍ تنتفع به البشرية، دون أن يعلم الناسُ أن هذا العلاج كان في أصله بحثًا قُدِّم لأحدِ هذه المؤتمرات.

وهنا -وفيما يخص مؤتمر تدبّر الثاني- كانت الكلمةُ التي تردَّد صداها في المؤتمر، من خلال سماعي لبعض المهتمين، ومن خلال التوصيات هي: **ضرورة انتقال مشروعات تدبّر من ساحة التنظير -الذي أُشبِع بحثًا- إلى ميدان التطبيق**؛ من خلال تحويل المشروعات والأفكار التي طُرحت في هذا المؤتمر والمؤتمر الأول -وما سبقهما، وتلاهما من ملتقيات علمية- إلى شيءٍ عمَلي يلمسه المسلمون غيرُ المختصين، الذين يمثّلون الفئةَ الكبرى التي يَعنيها هذا المشروع.

وهذا الكلام حقٌّ، فإننا إذا أردنا أن ننقل عمومَ المسلمين إلى الحياة مع القرآن، وذَوقِ لذةِ فهمه وتدبّرِه، وجعلِه واقعًا معيشًا يُصلِحُ فسادَ

القلوبِ والأعمالِ والمجتمعات؛ فلا بد أن تتضافر الجهودُ لسلوك جميع الطُرق التي توصلنا للمسلم، سواء كان ناطقًا بالعربية أم لا، بل وتقريب معانيه لغير المسلمين، فإن الله تعالى وصف كتابه بأنه: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

لهذا كله؛ فإنني أرى أن التَّبِعة على القائمين على هذه المشروعات الرائدة، سواءٌ كانوا من مؤسِّسي الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم أم غيرها من الهيئات والمؤسسات القرآنية، المعتنية بالقرآن: تفسيرًا وتدبرًا؛ أرى أن التبعة عليهم كبيرة، في الانتقال بكثيرٍ من البحوث التي تُطرح في هذه المؤتمرات إلى واقعٍ عمليٍّ، ينعم بخيره المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ليَصِلوا بهدايات القرآنِ ونورِه إلى أكبر عددٍ ممكنٍ من قلوب المسلمين الذين يُراد لهم البُعد عن كتابهم؛ مصدر عزّهم وقوّتهم، مع المراجعة الدائمة لتلكم المشروعات تقييمًا وتقويمًا؛ لتبلغ الغايةَ منها.

ويزيد التَّبعةَ على هذه المؤسسات: توفّر الوسائل والأوعية الكثيرة والمتنوعة لنشر ما لديهم؛ من خلال مواقع التواصل بمختلف أنواعها، ومشروعات التعليم عن بُعد، والدورات العلمية، وغيرها من الوسائل التي أثبتت جدواها، ولم يبقَ إلا استثمارها بشكلٍ أكبر.

وهذا كلّه لا يقلِّل من جهودٍ كبيرةٍ تَقَرّ بها العين، يُشكر أصحابُها عليها، حقّقتْ جزءًا من هذا الأمل الذي أتحدث عنه، لكن مَن رأى عددَ المسلمين، وقارَنه بهذه المشروعات وجَد أن الشُّقّة بعيدة، ولكن: مَن سار على الدرب وصل، وحسبنا أن نلقى الله، وقد نهجْنا الطريقَ لمن بَعدَنا، ليَحمل الرايةَ أناسٌ في أصقاع الأرض، رأينا بعضَهم في هذه المؤتمرات، وآخرون مِن دونهم، لا نعلمهم، الله يعلمهم.